# النهر المتعطل

## ومشروعات المستقبل

النيـل نهر متعطل بين أنهار الدنيا التى تماثله والتى هى دونه بمراحل ، ولو كنت حاكما للأنهار لفكرت فى أن أرسل اليه بإنذار تشرد كالذى ترسله السلطات للمتعطلين من الأفراد ! لو لا أنه نهر معذور فى تعطله ، مستعد للعمل فى كل لحظة ولكنه لايجد ما يعمله !

ولقـد ظل هـذا النهر عشرات الآلاف من السنين أو مئاتها يعمل فيما هيئ له من رى الأرض ، حتى قيل بحق إن "مصر هبة النيل" ولم يقصر فى هذا العمل الرئيسى الهام طوال هذه الأجيال ، وكلما طاب اليه الجود فاضت يداه ، وكلما وجه للخير ذهب فى كل اتجاه !

الا أن الأنهار لا تقوم بالرى وحده ، فالرى وظيفة واحدة من وظائف الأنهار فى الدنيا والنيل أبو الأنهار صالح لأداء عشرات من الوظائف الأخرى هو وشاطئاه الطويلان ، فعلينا نحن أن نوجهه لهذه الوظائف وألا نتركه متعطلا معرضا لإنذارات التشرد !

وسنذكر من هذه الوظائف الطائفة الرئيسية التى يستطيع أداءها فى يسر واتقان :

( ١ ) توليد الكهرباء من مساقط الميـاه .

( ٢ ) الملاحة النهرية .

( ٣ ) الكورنيش النهرى .

( ٤ ) مصايد الأسماك .

وقبل أن نتحدث عن هذه الوظائف وفائدتها لحياة الوطن ونموه ، وأثرها فى رقى البلاد وتجميلها ، يجب أن نذكر أننا مضطرون للاتجاه اليها اضطرارا بحكم ظروف المستقبل القريب.

إن هنالك مشكلة تنتظرنا عقب الحرب مباشرة ، ويجب أن نعد لها العدة منذ الآن ، ونحن نعرف أن الدوائر الحكومية المسئولة تعد هـذه العدة فعلا . هـذه المشكلة هى مشكلة البطالة لعدد كبير من الأيدى العاملة التى تستغرقها ظروف الحرب الطارئة .

هـذه الأيدى ستتعطل لأن العمل فى المعسكرات وسواها من الأعمال المتعلقة بالحرب سينتهى ويخلف مئات الألوف بلا عمل ، ثم إن الصناعات الكثيرة التى اتسع نطاقها بسبب الحرب والصناعات الكثيرة التى نشأت تلبية للظروف الوقتية ستنكمش عند انتهاء هـذه الظروف وتلفظ الكثيرين ممن يعملون فيها . فإذا أضفنا الى هـذا أن الزراعة الآن مزدهرة

للأسباب نفسها ، ولرواج الأعمال الزراعية ، وأن هذا الرواج غير مضمون حينما تعود الأحوال الى ما كانت عليه ، مع علمنا بأن أعمال الزراعة لم تكن تستغرق جميع الأيدى العاملة فى الريف ، فإن هذا يشير الى طرف من أطراف المشكلة التى سنواجهها ...

لابد إذن من التفكير فى وسائل للعمل بعد الحرب مباشرة ، والجهات الحكومية المسئولة كما قلت تفكر فى المسألة على هذا الأساس ، فكل عملنا إذن فى هذا المقال أن نشير الى بعض وسائل العمل الممكنة بتمكين النهر المتعطل من العمل فيعمل معه عشرات الألوف من أبنائه المتعطلين !

والآن فلنتحدث عن كل وظيفة من هذه الوظائف الأربع التى اخترناها فى صدر هذا المقال :

## ١ — توليد الكهرباء من مساقط المياه :

هذا مشروع مدروس ، وقد كاد يتقرر الشروع فيه بالنسبة الى خزان أسوان ، وقيل يومها إننا سنستخدم جزءا من القوة الكهربائية فى صنع السماد . . . الخ .

ونريد ن نقول : ان بعض البلاد الأوربية والأمريكية تستخدم كل مساقط المياه القليلة الأهمية وتنشر بها الانارة الكهربائية فى القرى ، والطاقة الكهربائية فى المصانع الصغيرة حولها ، ونهر النيل ذو الرياحات والترع والقنوات والمصارف ، غنى بهذه المساقط التى يمكن استخدامها شيئا فشيئا ، فتشيع فى حياة البلاد الاقتصادية والعمرانية روحا جديدة ، ورخاء جديدا .

وقد لا يكون لمثل هذه المشروعات أثر مباشر فى مواجهة مشكلة البطالة التى تحدثنا عنها ، ولكن لها أثرا لا شك فى حالة البلاد الاقتصادية والعمرانية ، وفى نشاط الصناعة وتفلغلها ، ولهذا كله أثره المحتوم فى حالة العمل واستغلال النشاط .

وقد يقع فى كثير من الأحيان أن يكون استخدام قوى الطبيعة سببا فى تعطل القوى البشرية العاملة ، ولكن هذا لا يلبث إلا ريثما تتغير ظروف العمل وتتحور ، وتتفتح أوجه جديدة للعمل فى المحيط الجديد والظروف الجديدة .

وحسبنا من مثل هذه المشروعات أنها تيسر القوى الدافعة لعشرات المصانع الكبيرة ومئات من المصانع الصغيرة ، وأن تستطيع بواسطتها إنارة المدن والقرى وكهربة بعض الخطوط الحديدية . . . الى آخر ما ينتفع فيه بالقوة الكهربائية . . وما ينتجه ذلك من أثر حاسم فى مدنية البلاد واقتصادها واجتماعها وهو ما يمكن التعبير عنه عند تمامه بالانقلاب .

## ٢ — الملاحة النهرية :

عرف النيل منذ مئات الأجيال تلك المراكب الشراعية الصغيرة والكبيرة ، ولكنه لم يعرف إلا قليلا كيف يكون طريقا للملاحة النهرية البخارية كما يعرفها نهر «الفولجا» مثلا . وفيما عدا شركات أجنبية صغيرة للملاحة النهرية تسير بضع زوارق وجرارات ، بقى النيل متعطلا لايحمل إلا سفن الشراع .

والذين تتبعوا أخبار الحرب الروسية أيام وقائع "ستالينجراد" عرفوا المهمة العظمى التى اضطلع بها نهر "الفولجا" فى النقل الحربى والمدنى فى هذه الظروف الحرجة ، والخدمة التى أداها للوطن الروسى فى أشد اللحظات .

أفيعجز النيل العظيم — أبو الأنهار — عن القيام لمصر بمثل هذا الواجب المحتوم ، وهو الذى لم يعجز عن واجب لمصر منذ مئات الآلاف من السنين ؟

والملاحة النهرية تستطيع أن تصنع لمصر الشىء الكثير فى اقتصادياتها جميعا ؛ فالسكك الحديدية قليلة فى مصر نسبيا ، أما الطرق البرية فسيئة جداً (وسنتحدث عنها فى النقطة التالية) فيجب إذن أن نعتمد اعتمادا أساسيا على الملاحة النهرية فى نقل المحصولات والآلات ، وفى نقل الركاب إلى داخلية البلاد ، إذ أن محطات السكة الحديدية معظمها فى المدن التى تبعد كثيرا أو قليلا عن قلب البلاد الريفية .

وهـذا النهر المنساب بين القرى والمدائن يستطيع أن يريح الآلاف من أبنائه فيحملهم إلى قراهم آمنين مطمئنين ، إذا انسابت فيه المراكب البخارية من شتى الأحجام والأنواع .

فما الذى نحتاج اليه لتنفيذ مثل هذا المشروع؟

شركات مصرية تنشئ موانئ نهرية على طول شواطئ النيـل المديدة ، وتشترى السفن البخارية ، وتتولى عمليات النقل التى لاتنهض بها السكك الحديدية .

وسيكون لهذا المشروع أثر فى حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية لاشك فيه . فهو أولا سيوجد أسواقا محلية قريبة للحاصلات الزراعية المختلفة ، ويوفر على الزراع والتجار مايعانونه من المشاق فى حمل المحصولات إلى محطات السكك الحديدية وشحنها ، لأن المحطات النهرية ستكون أقرب والشحن فيها أيسر . وهو ثانيا سيستخدم عددا ضخما من الأيدى العاملة فى الموانئ والسفن وأعمـال الشحن والنقل المختلفة حيث يعيش هؤلاء العمال فى جو ريفى تقريبا فلا يتعرضون لمـا يتعرض له عمال المدن من الآفات الصحية والخلقية . وهو ثالثا سيخلق فى البلاد جمالا لاعهد لها به ، فالمنقلة فى النيل الجميل والرسو على موانئه المتناثرة فى جوف البلاد سيكون متعة يحرص عليها طلاب النزهة الذين لايجدون مثل هذه السفرات الجميلة .

والنزهات الرائعة التى يروى نبأها رواد السين فى فرنسا والفولجا فى روسيا والرين فى لمانيا لا يقصر النيل الخالد الرائع فى تحقيقها للمصريين ، الذين يسمعون هذه الأنباء فيتخيلونها فى عالم السماء وهى منهم قريبة ، والنيل الطيع يحققها لمن يريد .

إن الذين يعيبون على الفن المصرى الحديث أنه لم يخلد النيل العظيم ، لايحسبون حساب الواقع ، وهو أن النيل غريب عن سكان وادى النيل ، لايكادون يرونه إلا لحظات عابرة ، وأنهم لايستمتعون من جماله ونزهاته بالقليل ولا الكثير .

فإذا تم مثل هذا المشروع الذى ندعو إليه ، وقامت الموانئ النهرية الجميلة على شاطئيه ومخرت فيه الزوارق تشق عبابه وتنساب بين الوادى المخضر الجميل ، فعندئذ يعرف الفنانون جمال النيل ، وتسجله أغانيهم وقصائدهم ولوحاتهم أجمل تسجيل .

## ٣ — الكورنيش النهرى :

وكورنيش النيل . . . إنه حلم من الأحلام الشاعرية الجميلة ، ولكنه حلم اقتصادى كذلك من جميع الوجوه . فحالة الطرق فى مصر متأخرة حتى عن بعض البلاد العربية كفلسطين فى الشرق ومراكش فى الغرب ، وقد أنشئت أخيرا بضع طرق اقتضتها ظروف الحرب فكانت حسنة من حسناتها ، ولكننا لانزال فى حاجة ماسة إلى الإسراع فى استكمال المواصلات البرية ، وكورنيش النيل يؤدى فى وقت واحد جملة أغراض هامة للبلاد منها :

(أولا) إيجاد طريقين رئيسيين يشقان البلاد من أقصاها إلى أقصاها و يتصلان بالطرق المقاطعة لها فى الداخل ، فترتبط البلاد بشبكة من الطرق البرية لها أثرها فى الانتقال والنقل وحفظ الأمن فى البلاد وارتباط مدنها وقراها على الشاطئين . وفى الداخل وهو ماينقصنا الآن ، وهو لازم لحياة البلاد الاقتصادية والعمرانية ومكمل لوظيفة النقل النهرى السابقة .

(ثانيا) استخدام عدد كبير من الأيدى العاملة فى شق هذه الطرق الرئيسية ، وهو عمل ضرورى لمواجهة مشكلة البطالة بعد الحرب مباشرة . ومثل هذا المشروع يعد مشروعا اقتصاديا بما يسببه للحركة التجارية والعمرانية من نشاط ، فإذا أدى أيضا إلى مواجهة مشكلة البطالة كان ذلك من حسناته الإضافية .

(ثالثا) كشف وجه النيل الجميل على الشاطئين فتقوم عليهما سلسلة من العمائر والفيلات الجميلة ، تجعل حافتيه جديرتين بالنهر الخالد ، وتجمل الريف الكئيب ، وترد اليه كثيرا ممن هجروه لقبحه وكآبته ، كما تجعله مرادا للرياضة والنزهة لسكان المدن القريبة ، الذين يستطيعون السفر إذ ذاك بالسيارات و بالسفن البخارية على السواء .

وإنه ليبدو حلما شاعريا جميلا ذلك "الكورنيش" المتلوى على الشاطئ الخالد ، وهنا وهناك تناثرت الجواسق والقصور ، وتناثرت كذلك الموانئ النهرية الصغيرة ترصع الشاطئ المتلوى المنساب .

إن الريف المصرى ريف مهمل كئيب ، لأن شرايين الحياة لا تتصل به لا فى البر ولا فى النهر ، فإذا تهيأ لهذه الشرايين أن تتصل به أمدته بالحياة وأشعرته الوجود وأكسبته النضارة ووسمته بالجمال .

إنه حلم ! فمتى تتحقق الأحلام ؟

## ٤ — مصايد الأسماك :

ومصر بلاد يحدها بحران ويشقها نهر كبير ، ومع هذا لا تجد كفايتها من السمك . فتبلغ أسعاره فيها حدا مرتفعا يعز على الاوساط من الناس ، بله الفقراء .

والنيل وحده كان كافيا لإمدادها بغذاء من السمك يرفع نسبة التغذية فيها درجات والنيل غير ضنين ، ولكن أهله خائبون !

وككل شىء فى هذا البلد العجيب كانت معظم مصايد الأسماك فى يد جماعة من الأجانب معظمهم من الطليان ، فلما قضت ظروف الحرب بإبعادهم تعطلت المصايد ونقص المستخرج من السمك إلى حد كبير ، وحدثت هذه الأزمة التى نراها الآن فى لحوم السمك ، وارتفعت أثمانها هذ الارتفاع .

ومصايد الأسماك مشروعات استغلالية مربحة ، فسبيلنا إذن إلى الربح هو تنظيم هذه المصايد بتأليف شركات مصرية كثيرة للاستغلال على شاطئ البحرين وفى النيل العظيم . وهذه الشركات تستطيع أن تؤدى لنفسها ولمصر خدمات عظيمة . تستطيع أن تربح وأن تستخدم مئات بل ألوفا من الأيدى العاملة فى شتى صناعات الصيد المباشرة وغير المباشرة ، وأن تكفل للسكان موردا من الغذاء الجيد على مدار العام .

ولا يكلفنا هذا إلا أن نفتح أعيننا ، وأن نولى وجوهنا وجهة الكسب الحر المبتكر ، كما يصنع الأجانب الكثيرون تحت سمعنا وبصرنا فى كل يوم بينما أغنياؤنا منصرفون إلى شراء الأرض بأضعاف ما تستحقه حسب نسبة إيرادها ، وشباننا منصرفون إلى الوظائف الحكومية حتى أعمال اليومية ، والأجانب وحدهم يغزون موارد الرزق الغزيرة بلا منافسة من أهل البلاد .

تلك بعض مشروعات المستقبل ؛ فى دائرة النهر المتعطل ، النهر الذى لا نظير له بين أنهار العالم فى مزاياه ، وهو معطل عن العمل حتى ليستحق إنذار تشرد ، لولا أنه معذور يطالب العمل فلا يلقاه ! ولو أجيب لملأ البلاد خيرا وصحة وجمالا ، ولما قبع هكذا فى مجراه مكتفيا بعملية الرى التى ظل يقوم بها عشرات الأجيال فى رتابة واطراد ، أحسبه سئم منهما وملها وآه لو ينطق النيل ، إذن لجهر بالسآمة والملال .